Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 12:2-3-4 (1977)

ملحوظاتنا على المقال السابق

—التحرير

ملحوظة (الف)

من الطبيعي ان يتاثر الخلف بالسلف غير ان المؤمن الذي جعل الله له الفرقان لا يتأثر بالشيء الابعد حكمه على القرآن، ولا يقبل اي فكر الا بعد ان يجد له مبررا في كتاب الله، ثم ان اقبال كان واسع المطالعة، يستمع القول اينما كان، و لكنه كان ينتقده قبل القبول و يعرضه على كتاب الله ثم يتبع احسنه و كان لا يخضع للسيوية، و يدعو الى ان يتخذ الرجل سبيله بجده وكده كما كان يرى التقليد عذابا .

تراش از تيشهٔ خود جادهٔ خويش
براه ديگران رفتن عذاب است

وقد دعا في شعره على نفسه قائلا :

گردلم آئينهٔ بے جوهر است وربحر فم غير قرآن مضمر است
پردهٔ ناموس فكرم چاك كن از خيابان را زخارم پاك كن

(كليات اقبال : ١٦٨)

(ترجمة) مولاى : ان كان قلبي مرآة لا جوهر لها، وان كان في كلامي معنى غير ما في القرآن، فمزق سترحرمة فكرى، وطهر البستان من اشواكى .

وقد ذكر هذه النقطة المغفور له الدكتور طه حسين حيث كتب في مقاله ''اقبال شاعر فرض نفسه على الدنيا و على الزمان،، مانصه : ''ظن بعض الاوربيين الذين قرأوا فلسفة اقبال و شعره عندما ترجمه نيكلسون الى الانجليزية، ظنوا انه

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

متاثر بنتشه فی مذهبه فی الانسان الممتاز او السوبرمان، و لکن اقبالا نفسه رد علی هؤلاء الناس فقال :،، انه عندما جهر بمذاهبه هذه لم یکن یعرف نتشه، ولم یکن یعرف ان فی الأرض انسانا یسمی بهذا الاسم، وانه انما عرف الغرب و فلاسفة الغرب بأخرة، بعد ان انشأ فلسفته و آدابه، و بعد ان تقدم بهذه الفلسفة و بهذه الآداب شوطا بعیدا . (محمد اقبال ص ٢٢، ٢٣)

و کل هذا یدل علی انه لم یتأثر بافکار معارضة لتعلیمات القرآن المجید، والمثل العلیا التی دعا الیها القرآن المجید والمبادیٔ الاساسیة للانسانیة التی نادی بهاجمیع الرسل . وکان خلاصة رسالته دعوة المسلمین الی الرجوع الی القرآن :

مسلما ان ترد حیاة فهیا

ما بغیر القرآن تؤتی الحیاة

ملحوظة (ب)

لیس معنی هذا کله انه اهمل امر الجماعة وجعل الفرد کل شیٔ فی المجتمع . ان من عادة اقبال انه یؤکد علی شیٔ بمقتضی الظروف و بقدر حالة الشعب، فالفرد عنده کاللبنة للبنیان، الذی یضعف او یقوی بموجب رخاوة اللبنة وصلابتها، و یری اقبال ان المجتمع لا یقوی الا اذا قوي الفرد . و هل یبقی للفرد معنی بدون جماعة ؟ واطلع علی هذا السر المغفورله الدکتور طه حسین حیث قال : ''والذی کان یریده اقبال للفرد کان یرید مثله للجماعات،، (محمد اقبال ص : ٢١) وفی موضع آخر فی مقاله : ''کان اذا حریصا علی ان یتوحد الفرد فی وجوده و علی

ان تتوحد الامة فى وجودها،، (ايضا : ٢٢)

ثم ان الرجل الخبير بأمر المجتمع يعرف ما يحتاج اليه المجتمع من قوة فردية او جماعية، و اقبال لما جس نبض الامة المسلمة رأى انها تحتاج اولا الى افراد اقوياء لتأليف المجتمع القوى، فبذل وسعه فى تربية الفرد اكثر من شئ آخر . غير انه بنفسه تنبه لهذه النقطة فاضاف الى ''اسرار خودى،، (اسرار الذاتية)) رموز بے خودى (رموز نفى الذاتية) و الذاتية تعنى الفرد كما يعنى نفى الذاتية الجماعة . ثم ان قضية الفرد والجماعة كالحلقه المفرغة، لا يستطيع احد ان يحكم ايهما يحتاج الى الثانى اكثر . فالفرد احب اليه، لانه اذا كان قويا مثقفا يكون الجماعة القوية، اما الجماعة اذا كانت مسلمة قوية تربى افرادها على الاسلام كان الاهتمام بتقويتها اشد، لكن اقبالا لما رأى الامة المسلمة فى ضعف ولم يجد سبيلا الى تقويتها، لاجل ضغط الاستعمار اراد تربية الافراد اولا، و ذلك ما كانت الظروف تتطلبه، ولو كان اقبال فى باكستان لكان تاكيده على تربية الجماعة اكثر . وحيث انه لم ينقل شعر اقبال كله الى اللغة العربية وان معظم كتاب العرب يعتمدون على تجديد التفكير الدينى فى الاسلام . فانهم يستدلون به ان اقبالا يعتنى بتكوين الفرد لا الجماعة، و ليس الامر كذلك فانه تكلم فى نفس الكتاب عن الجماعة كثيرا. ثم ان له فى دواوينه اشعارا كثيرة فى اللغة الاردوية والفارسية تدل على ان الفرد لا يؤتى ثمره الا بارتباطه مع الجماعة، و ان الامة لا تتكون الا باختلاط الافراد، وشد بعضهم بعضا، وان الفرد كالحبة لانظام لها الا فى سلك الجماعة، و كالقطرة لا قوة لها خارج البحر، يقول اقبال :

و هما سلك نظام ودرر او نجوم تتجلى فى النهر

قيمة الافراد جدوى الملة و من الافراد نظم الامة

واذا الواحد فی الجمع نما كان كالقطرة صارت خضرما

وهو القائل :

كل فرد باخيه ائتلفا مثل در فی سموط الفا

لفهم فی عيشهم معترك كل فرد بأخيه ممسك

من جذاب تتوالى الانجم كوكب من كوكب مستحكم

(اسرار نفی الذاتية)

كما يقول اقبال :

فرد قائم ربط ملت سے هے تنها كچھ نهين

موج هے دريا مين اور بيرون دريا كچھ نهين

(ترجمة) ان حياة الفرد تتوقف على صلته بالأمة، و ليس بشئ منفردا، كما ان الامواج بقاؤها ماداست هی فی البحر وليست بشئ اذا خرجت من البحر .

وقوله :

ملت كے ساتھ رابطۂ استوار ركھ پيوسته ره شجر سے اميد بهار ركھ

(ترجمة) اتصل بالأمة اتصالا قويا، ارتبط بالشجر و ترقب الربيع .

وقوله :

اپنی ملت پر قياس اقوام مغرب كو نه كر

خاص هے تركيب ميں قوم رسول هاشمی

(ترجمة) لا تقس امتك على امم الغرب . لان امة محمد الرسول الهاشمی صلى الله عليه وسلم لها اسلوبها الخاص فی تركيب عناصرها .

ثم ان اقبالا يتناول موضوعا ويتوغل فيه ثم يرى موضوعا آخر يضاده فيتناوله وينصفهما معا، كما فعل بشكوى و جواب شكوى . و هذا كثيرا ما نجده فى ادبه، يؤكد على موضوع ثم يلتفت الى ضده فيفرغ له ويعطيه حقه .

ملحوظة (ج)

ان هذا الموضوع خطر و مرهف جدا، يجرح احاسيس سذج المسلمين كما يثير عواطفهم . ولا نريد ان نطيل الكلام فيه، وقد استوفى ابن خلدون جميع ما اورده اهل الحديث وما بلغه من كلام المتصوفة بهذا الصدد فى مقدمته، وانتقد هذه العقيدة انتقادا علميا من نظرته التاريخية و فلسفته عن العصبية، و عدنجاح دعوة الفاطمى فى افق من الآفاق من غير عصبية ولا شوكة وبمجرد نسبته فى اهل البيت مستحيلاً ، — والحقيقة ان الدراية تبطل هذه العقيدة كليا — و عليه اعتمد اقبال فى هذا الموضوع لانه وجد لديه اساسا علميا . ثم ان المسلمين ليسوابملتزمين باعتناق عقيدة لا اصل لها فى كتاب الله. و فيها امكانية ترك العمل للناس حيث يترقبون مجئ مخلص او امكانية الوقوع فى الفتن، لانخداعهم بادعاءات المخلصين والمهديين، وكفى بكتاب الله هاديا و بنبينا خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم مخلصا . و هناك ادلة على انها دخلت فى الاسلام من الخارج، لاننا نجد مثل هذه العقيدة فى عقائد الامم السابقة، اما الاحاديث المروية فى هذا الموضوع فهى كما ذكر ابن خلدون مجروحة، والجرح مقدم على التعديل .

(— التحرير)